



أعفى الجيش السوري الحر كثيراً من المدافعين عن الثورة السورية من حرج الحديث دفاعاً عن مبررات طلب "الحماية الدولية" بإطلاقه مصطلح "جيش الاحتلال" على الجيش الأسد الموالي لنظامه؛ حيث وضع النقاط فوق الحروف في نقاش طلب الحماية، معيناً التذكير بأن من يذبح السوريين اليوم ليس إلا قوة حماية دولية للكيان الصهيوني، وهي لا تعدو إلا أن تكون قوة احتلال، لكنها تحمل - أحياناً - أسماء عربية وأهواء لا تمت للعروبة ولا هوية السوريين بمثقال ذرة من خردل.

في الكويت، في زمن الغزو العراقي، كانت مبررات استقدام جيوش أجنبية لها بريق لدى كثيرين، برغم معارضة قوية بدت من نخبة وأهل رأي وعلماء، وكان الوضع جد مختلف عن الحالة السورية، إذ لم تطلب القوى الثورية بتنوعها السياسي والعسكري في سوريا بقوات "تحرير" أجنبية، ولا استقدام جيوش، ولا حتى ضربات جوية نوعية وإستراتيجية، بل طابت محض حماية دولية وحظراً، كما أن قوات صدام لم تكن تمثل أبداً عصابات بشار برغم كل تجاوزات قوات الرئيس العراقي الراحل، وكان الخلاف بالأساس اقتصادياً بين البلدين؛ فيما يتعلق الأمر في سوريا بوأد الحرية ومنع شعب حر من الحصول على استقلاله عن التبعية لطهران أو الخضوع لرغبات تل أبيب.

وفي الحالة العراقية، وقف العالم كله ضد صدام حسين بينما توافط بشكل مريب مع نظام بشار الدموي، وظل إحجام الدول الغربية عن التدخل لمنع قتل المدنيين ووقف الإبادة وكل الجرائم المرتكبة بحق الإنسانية دليلاً دامغاً على طهر هذه الثورة واستقلال قرارها الوطني عن كل تأثير خارجي بدا أكثر "تفهماً" لجرائم بشار وميليشياته الطائفية، ولا يجدنا الحديث نحو مسألة النفط، فسوريا أكثر أهمية بكثير بالنسبة لأمن الكيان الصهيوني من دولة الكويت، وإذا كان الأميركيون قد غزو العراق من أجل أمن "إسرائيل" والنفط؛ فإنهم أبدوا مرونة فيما بعد في قضية النفط، فيما رفضوا الخروج من العراق إلا بعد الاطمئنان الكامل على تغيير عقيدة الجيش العراقي وضعف تسليحه وبناء المفكك وولائه لطهران.

وأمن "إسرائيل"، دعونا نكن واضحين في ذلك، صار مهدداً الآن، ليس بهذه الثورة الإسلامية العظيمة وحدها، وإنما لاحتمال خروج الانشقاق الحاصل في الجيش السوري عن السيطرة.. لنتذكر أن ما تم في ليبيا قد أخذ أطواراً متعاقبة فيما يخص العمل العسكري، أهمها وأوسعها زمنياً الدعم الذي تلقاه القذافي للزحف على بنغازي والاقتراب لحد التهديد بارتكاب مجزرة مروعة في المدينة الثانية في البلاد من حيث تعداد السكان، ثم جاء قرار التدخل العسكري في تلك النقطة الحرجية/ الأوفر حظاً في التأثير على الثوار العسكريين، وأخذ ضمانات مفصلية لدرجة الابتزاز من المجلس الانتقالي، ومثل هذا ربما سينسحب على الحالة السورية؛ حيث ترتفع درجة الحديث عن اقتراب التدخل الخارجي كلما اült وتيرة النجاح النسبي للجيش السوري الحر، والأخطر زيادة معدل الانشقاقات للحد الذي قد يصل فجأة بها إلى درجة الانهيار المفاجئ للنظام العسكري الذي يديره المتعهدون بأمن "إسرائيل" في دمشق.

والغرب ومراقبوه العرب لا يزعمهم كثيراً تأكيد الهواجس لدى الشعوب العربية من موقفهم وانكشاف علاقتهم الوثيقة بالنظام السوري وتمسکهم به إلى درجة تفوق بكثير تمسکهم بـ"الكنز الإستراتيجي الإسرائيلي" حسني مبارك، أو رجل واشنطن في

الحكم التونسي بن علي، ولا القذافي/حارس أوروبا من الهجرة غير الشرعية، وغيرهم، ولا يقلهم وجود عشرات الآلاف في سجون يشار ولا مذاقه اليومية ولا مقابرها الجماعية.. الخ، إنما يتحسب كثيراً لخروج الأمور عن سيطرته، والخلوص إلى نهاية حزينة لـ"إسرائيل"، تجعل "المتطرفين" على بعد أمتار من حدود فلسطين المغتصبة، وتوسّس لعقيدة جديدة للجيش السوري الجديد (الحر) الذي سيختلف جيشاً انتشار في لبنان، وانسحب في الجولان لتحقيق نظرية الأمن "الصهيونية" .. لذا، ورغم كل التباطؤ في مسألة التدخل الدولي؛ فإن درجة قناعة كثرين - وأنا منهم - أن مساندة القوى الثورية سواء على الصعيد السياسي أو العسكري ستحصل، لكن حالما يتمكن الجيش السوري الحر من تجاوز العرقل الحربية واللوجستية ومحاولات شقه وتهميشه، ويقوى بنيته القتالية ويجعل من نفسه نظيراً كفواً لعدو يستمد قوته الإضافية من دعم لا محدود من طهران وموسكو.. وهو يمضي حثيثاً وبسرعة متنامية في هذا الاتجاه، ويوشك حقيقة أن يفعل.

حينئذ، وفي الأحداث الأخيرة فيما يتعلق بقراري واشنطن بشأن إغلاق سفارتها في دمشق، وقرار باريس بخصوص قواتها العاملة في أفغانستان، والتصريحات الأخيرة من عواصم غربية وعربية عدّة، وأنقرة، إشارات واضحة على أن التخوفات من خروج الأمور عن السيطرة حال انهار الجيش الأسد، قد بلغت حدّاً كبيراً، ذاك أن من يرقب الخط البياني لفعالية الجيش السوري الحر يدرك بلا عناء أنه يجسد حالة تختلف عن حالات المقاومة العراقية والأفغانية وغيرها، وأنه وضع قاطرته على سكتها الصحيحة، وتوشك أن تبلغ محطتها الأخيرة.

المصدر: موقع المسلم

المصادر: